مختلف ما روي في الجهر و الإسرار بالبسملة

الباحث/ علاء عبد العزيز مدبولي(*)

مقدمة

إن الحمد لله تعالى نحمده ، ونستعين به ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله . وبعد ...

" **فإن علم الحديث رفيع القدر ، عظيم الفخر ، شريف الذكر ، لا يعتني به إلا كل حبر ، ولا يحرمه إلا كل غمر ، ولا تفنى محاسنه على ممر الدهر**[1].

كيف لا ؟ ولم تتفق أذهان أمة من الأمم لمثل هذا العلم الجليل سوى المسلمين.

ومختلف الحديث نوع من أنواع علوم الحديث ، قال عنه النووي رحمه الله : ــ " هذا فن من أهم الأنواع ، ويضطر إلى معرفته جميع العلماء من الطوائف [2].

(*) طالب ماجستير بقسم اللغة العربية ــ كلية البنات ــ جامعة عين شمس

([1]) تدريب الراوي ــ للسيوطي (١ / ٣٣) تحقيق: الشيخ طارق بن عوض الله ط ١ ــ دار العاصمة ــ ١٤٢٤ ــ ٢٠٠٣

([2]) المصدر السابق (٢ ــ ٢٠٥)

لذلك كان الإمام الشافعي أول من ألف في هذا الفن وكتابه " اختلاف الحديث " فيه منه الكثير .

قال ابن الصلاح : " إنما يكمل للقيام به الأئمة الجامعون بين صناعتي الحديث والفقه ، الغواصون على المعاني الدقيقة [٣].

عرفه النووي بقوله : " هو أن يأتي حديثان متضادان في الظاهر فيوفق بينهما ، أو يرجح أحدهما على الآخر [٤].

ومن هذه الأحاديث التي ظاهرها التعارض : أحاديث الجهر بالبسملة في الصلاة وهي من المسائل المهمة في كتاب الصلاة بل في الفقه عموماً ...

قال الإمام الزيلعي : " هذه المسألة من أعلام المسائل ، ومعضلات الفقه ، ومن أكثرها دوراناً في المناظرة ، وجولاناً في المصنفات [٥]. "

لذا رأى الباحث تناول هذه المسألة بالدراسة والبحث وذلك من خلال المطالب الآتية :

١] المطلب الأول : الدراسة الحديثية .

٢] المطلب الثالث : الدراسة الفقهية وفيه :

١] المذهب الأول : يسن الجهر بالبسملة في الصلاة الجهرية

٢] المذهب الثاني : لا يقرأ ببسم الله الرحمن الرحيم ، سراً ولا جهراً في المكتوبة

٣] المذهب الثالث : يسن الإسرار بها في السرية والجهرية ...

٤] المطلب الرابع : الراجح

٥] الخاتمة .... وفيها أهم نتائج البحث .

([٣]) مقدمة ابن الصلاح (٤٧٧) ت. عائشة عبد الرحمن – ط – دار المعارف .
([٤]) تدريب الراوى للسيوطي (٢ / ٢٠٥)
([٥]) نصب الراية للزيلعى (١ / ٣٥٦)

هذا ما وفقني الله إليه في هذا البحث المهم الخاص بـ (الجهر والإسرار بالبسملة) وأسأل الله القبول و أن يجعله خالصاً لوجهه الكريم .

والحمد لله رب العالمين و الصلاة والسلام على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم .

أولاً : الدراسة الحديثية :

أ – الأحاديث التي ظاهرها عدم الجهر بالبسملة

١) عن أنس رضي الله عنه : أن النبي ز وأبا بكر وعمر كانوا يفتتحون الصلاة " بالحمد لله رب العالمين "[٦] .

(*) طالب ماجستير بقسم اللغة العربية – كلية البنات – جامعة عين شمس.

٦ البخاري (٢٦٥/٢ – فتح) [٧٤٣] . كتاب الأذان ، باب : ما يقول بعد التكبير ، ومسلم (١٤٦/٤ – نووي) [٣٩٩] كتاب : الصلاة ، باب حجة من قال لا يجهر .

وأعله ابن عبد البر بالاضطراب ، قال في التمهيد (٢٣٠/٢) : وقد روي هذا الحديث عن أنس ، قتادة وثابت البناني وغيرهما كلهم أسنده وذكر فيه النبي صلى الله عليه وسلم إلا أنهم اختلف عليهم في لفظه اختلافاً كثيراً مضطرباً متدافعاً ، وهذا اضطراب لا يقوم معه حجة لأحد من الفقهاء " وقد رد هذا ابن حجر في الفتح (٢٦٦/٢) :

((وقد يقال هذا اضطراب من شعبة ، لأنا نقول قد رواه جماعة من أصحاب قتادة عنه باللفظين)) .

وهاك روايتهم مفصلة :

أولاً : لفظ " يفتتحون بالحمد لله " رواه كل من :

١ – أيوب السختياني .

أخرجها :

البخاري في جزء القراءة (٨٦/١) [١٣٨] ، النسائي (١٣٣/٢) [٩٠٣] باب : البدء بالفاتحة ، ابن ماجة في السنن (٢٦٧/١)[٨١٣]

الشافعي في المسند (٣٦/١) [١٤١] ، الحميدي في مسنده (٥٠٥/٢) [١١٩٩] ومن طريقه البيهقي في الكبرى (٥١/٢) باب : من قال : لا يجهر بها ، ابن الجارود في المنتقى (٥٥/١) .

٢- هشام الدستوائي

أخرجها :

البخاري في جزء القراءة (٨٥/١) [١٣٦] ، أبو داود في السنن (١٥٩/٢ –عون) [٧٧٧] كتاب الصلاة ، باب : من لم ير الجهر ببسم الله "

وأحمد في المسند (٢٤٤/٢٠) [١٢٨٨٧] ، الدارسي (٣١١/١) [١٢٤٠]

باب : كراهية الجهر " ببسم الله الرحمن الرحيم " ، أبو يعلي في المسند (٤٣٤/٥) [٣١٢٨] .

٣ – حماد بن سلمة .

أخرجها :

البخاري في جزء القراءة (٨٥/١) [١٣٤] ، ابن حبان في صحيحه (١٠٤/٥)[١٨٠٠] باب : صفة الصلاة .

٤ – همام

أخرجها :

البخاري في جزء القراءة (٨٤/١) [١٣٣]

٥ – أبو عوانة

أخرجها :

البخاري في جزء القراءة (٨٥/١) [١٣٥] .

النسائي (١٣٣/٢) [٩٠٢] ، ابن ماجة (٢٦٧/١) [٨١٣] باب : افتتاح القراءة ، الترمذي (٥١٧/١ – تحفة) [٢٤٦] باب : ما جاء في افتتاح القراءة .

خمستهم [أيوب – هشام – حماد بن سلمة – همام – أبو عوانة] عن قتادة عن أنس بلفظ " يفتتحون بالحمد لله "

ثانياً : لفظ " لم يكونوا يذكرون "

أخرجها : مسلم في صحيحه (147/4) [399]

من طريق : الأوزاعي عن قتادة عن أنس .

ثالثاً : لفظ " لم يكونوا يجهرون "

أخرجها :

الطحاوي في شرح معاني الآثار (١/٢٦١) [١١٦٢] ، وابن حبان في صحيحه (٥/١٠٦) [١٨٠٣] من طريق سعيد بن أبي عروبة .

والدارقطني في السنن (٣/٣٣٥) [١٢١٧] باب : ما يجزيه من الدعاء .

عن طريق همام بن منبه .

والطحاوي (١/٢٦١) [١١٦٦] من طريق شيبان

وأخرجها :

أحمد في المسند (٢١/٣٦٨) [١٣٩١٥] من طريق شعبة .

أربعتهم (سعيد – همام – شيبان – شعبة) عن قتادة عن أنس

وقد تابع قتادة جماعة من أصحاب أنس

١ – إسحاق بن أبي طلحة

أخرجه : الطحاوي في شرح معاني الآثار (١/٢٦٢) [١١٧٠]

٢ – ثابت البناني .

أخرجها :

ابن خزيمة (١/٢٥٠) [٤٩٧] .

٣ – مالك بن دينار

أخرجها :

البخاري في القراءة (٨٦) [١٣٩]

ثلاثتهم (إسحاق – ثابت البناني – مالك بن دينار) عن أنس بلفظ " يفتتحون بالحمد لله "

ورواه أيضاً :

١ – زاذان عن أنس

أخرجها : النسائي (٢/٢٣٤) [٩٠٦]

٢ – أبو قلابة عن أنس

أخرجها : ابن حبان في صحيحه (٥/١٠٥) [١٨٠٢] .

٢) عن عائشة رضي الله عنها ، قالت : كان رسول الله ز يفتتح الصلاة بالتكبير والقراءة بـ " الحمد لله رب العالمين "[٧] .

٣) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : إني سمعت رسول الله ز يقول : قال الله تعالى : " قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين ولعبدي ما سأل ، فإذا قال العبد : " الحمد لله رب العالمين " قال الله : حمدني عبدي .. "[٨] .

ب : الأحاديث التي ظاهرها الجهر بالبسملة :

١ - عن نعيم المجمر قال : صليت وراء أبي هريرة فقرأ : بسم الله الرحمن الرحيم ثم قرأ بأم القرآن حتى بلغ غير المغضوب عليهم ولا الضالين " فقال : آمين ، فقال الناس : آمين ، ويقول كلما سجد : الله أكبر

---

٣ - أبو نعامة عن أنس

أخرجها :

أحمد في المسند (٢٠/٤٥٩) [١٣٥٩] بلفظ " فلم أسمع أحداً قال بسم الله الرحمن الرحيم "

٤ - حميد الطويل :

أخرجها : مالك في الموطأ (١/٨١) [١٧٨]

البيهقي في الكبرى (٢/٥١) بلفظ : " لا يقرأ " ببسم الله "

شرح السنة للنبوي (١/٤٢٩) ، الطحاوي (١/٢٦١) [٢١٦٤] .

وهذا يرد علي من أعل هذا الحديث بالاضطراب ، فقد تابع جماعة من أصحاب أنس فزالت بذلك تهمة الاضطراب عن شعبة .

قال ابن حجر في الفتح (٢/٢٦٧) .

" فاندفع بهذا تعليل من أعله بالاضطراب كابن عبد البر ، لأن الجمع إذا أمكن تعين المصير إليه ..... " .

[٧] مسلم (٤/٢٨٤ – نووي) [٤٩٨] باب : ما يجمع صفة الصلاة .

[٨] مسلم (٤/١٣٤ – نووي) [٣٩٥] باب : قراءة الفاتحة .

، وإذا قام من الجلوس في الاثنتين قال : الله أكبر ، وإذا سلم قال : و الذي نفسي بيده ، إني لأشبهكم صلاة برسول الله ز "[9] .

---

[9] - [ضعيف]

أخرجه :

النسائي (١٣٤/٢) [٩٠٥] باب : قراءة بسم الله الرحمن الرحيم ، أحمد في المسند (٢٧٧/١٦) [١٠٤٤٩] ، وابن خزيمة في صحيحه (٢٥١/١) [٤٩٩] باب : ذكر الدليل علي الجهر " ببسم الله والمخافتة به جميعاً مباح " ، وابن حيان في صحيحه (١٠٠/٥) [١٧٩٧] باب : ذكر ما يستحب للإمام ، الدارقطني في السنن (٧٢/٢) [١١٦٨] باب : وجوب قراءة " بسم الله الرحمن الرحيم " ، والطحاوي في الشرح (٢٥٧/١) [١١٥٠] باب : قراءة " بسم الله " ، والحاكم في المستدرك (٤٩٨/١) [٨٨٢] باب : التأمين ، والبيهقي في الكبرى (٤٦/٢) باب : افتتاح الصلاة ، والبزار في المسند (٤١٤/٢) [٨١٥٦] ، والهيثمي في موارد الظمآن (١٢٥/١) [٤٥٠] باب : القراءة في الصلاة ، والخطيب في تاريخ بغداد (٣٧٧/١٢) .

من طرق عن : سعيد بن أبي هلال عن نعيم المجمر به .

وفيه سعيد بن أبي هلال وهو الليثي مولاهم ،

قال أبو حاتم في الجرح والتعديل (٧١/٤) : " لا بأس به "

وقال أحمد كما في سؤالات الأثرم له : " لا أدري أي شئ حديثه يخلط في الأحاديث "

وقال الذهبي : ميزان الاعتدال (١٦٢/٢) [٣٢٩] ثقة معروف حديثه في الكتب الستة ، يروى عن نافع عن نعيم، قال ابن حزم وحده : " ليس بالقوي".

وقال ابن حزم في الفصل في الملل والأهواء والنحل (٩٥/٢) :

" وليس بالقوي قد ذكره بالتخليط : يحيى ، وأحمد بن حنبل " .

قال ابن حجر في لسان الميزان (٢٣٢/٧) :

" أحد المكثرين عن جابر مرسلاً ، ثقة ثبت ، ضعفه ابن حزم وحده "

وقال العجلي " بصرى ثقة " ووثقه ابن خزيمة وغيره .

والحديث صححه :

ابن خزيمة ، وابن حيان ، والدارقطني وقال : هذا صحيح ورواته كلهم ثقات .

٢ – عن قتادة قال : سُئل أنس : كيف كانت قراءة النبي ز فقال : " كانت مدا " ثم قرأ

" **بسم الله الرحمن الرحيم " يمد ببسم الله ، ويمد بالرحمن ، ويمد بالرحيم ...** "[١٠]

ثالثاً : الدراسة الفقهية :

اختلف الفقهاء تبعاً لاختلاف الأحاديث ظاهرياً في حكم الجهر بـــ " بسم الله الرحمن الرحيم " أو الإسرار بها ، أو عدم قرائتها ، فذهب فريق إلي

والحاكم وقال : حديث صحيح علي شرط الشيخين ووافقه الذهبي في التلخيص والبيهقي في السنن الكبرى والخلافيات وقال : إسناده صحيح وله شواهد " .

وأعلَّه الذيلعي في نصب الراية (٣٥٥/١) ، بأنه مما تفرد به نعيم المجمر من بين أصحاب أبي هريرة وهم ثمانمائة ما بين صاحب وتابع ، وقد أعرض عن ذكر البسملة في حديث أبي هريرة صاحبا الصحيح فرواه البخاري من حديث أبي سلمة بن عبد الرحمن أن أبا هريرة كان يكبر في كل صلاة من المكتوبة وغيرها .... ، وكذلك رواه مسلم بنحوه ، .... فإن قيل : قد رواها نعيم المجمر وهو ثقة ، والزيادة من الثقة مقبولة ، قلنا : ليس ذلك مجمع عليه، بل فيه خلاف مشهور والصحيح التفصيل .... وزيادة نعيم المجمر للتسمية في هذا الحديث مما يتوقف فيه ، بل يغلب علي الظن ضعفه .... "

قلت : فاجتمع في الحديث أمران :

الأول : اختلاط سعيد بن أبي هلال ، وذكر ذلك فيه أحمد ، وابن معين ، كما نقل ابن حزم .

والثاني : تفرد نعيم المجمر عن أبي هريرة بهذه الزيادة .

قال ابن تيمية في مجموع الفتاوى (٣٧١/٢٢) :

" والأحاديث المصرحة بالجهر عنه كلها ضعيفة عند أهل العلم بالحديث ، ولهذا لم يخرجوا في أمهات الدواوين منها شيئاً ولكن في الصحاح والسنن أحاديث محتملة ".

١٠

القول بالجهر ، وذهب آخرون إلي القول بالاسرار بها ، بينما كان مذهب الإمام مالك عدم قراءتها أصلاً .

قال ابن رشد الحفيد :

" اختلفوا في قراءة " بسم الله الرحمن الرحيم " في افتتاح القراءة في الصلاة ، وسبب الخلاف في هذا آيل إلي شيئين : أحدهما : اختلاف الآثار في هذا الباب، والثاني : اختلافهم : هل بسم الله الرحمن الرحيم آية من فاتحة الكتاب أم لا ؟ فمن الآثار ما رواه مالك عن حديث أنس أنه قال : قمت وراء أبي بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم ، فكلهم كان لا يقرأ بسم الله إذا افتتح الصلاة ، وأما الأحاديث المعارضة لهذا ، فمنها حديث نعيم بن عبد الله المجمر قال : صليت خلف أبي هريرة فقرأ بسم الله الرحمن الرحيم قبل أم القرآن .... وقال : أنا أشبهكم بصلاة رسول الله ز "[11] .

المذهب الأول : يسن الجهر بالبسملة في الصلاة الجهرية ، ذهب إلي ذلك الإمام الشافعي [12،13]

وسلكوا في ذلك مسلك الترجيح لأحاديث الجهر . واحتجوا بـــ :

١] ما روي عن نعيم المجمر قال : صليت وراء أبي هريرة فقرأ " بسم الله الرحمن الرحيم " ثم قرأ بأمّ الكتاب .... ثم قال : والذي نفسي بيده إني لأشبهكم صلاة برسول الله ز[14] .

---

[11] بداية المجتهد لابن رشد (١/٩٠) .

[12] الأم (٢/٢٤٤) ، المجموع (٣/٢٩٨) ، الحاغوي للماوردي (٢/١٠٥) نهاية المحتاج (١/٤٧٩) ، أسنى المطالب (٢/٣٧٦).

[13] وذهب ابن حزم الظاهري إلي التخيير بين الجهر والإسرار انظر المحلى (٣/٢١٢) .

[14] سبق تخريجه .

٢] حديث أم سلمة قالت : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقطِّع قراءته : بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين .. "[١٥] .

قالوا : وفيه دلالة ظاهرة علي أنه كان يجهر ببسم الله الرحمن الرحيم ، لأن القراءة خارج الصلاة مثل القراءة في الصلاة .

٣] حديث قتادة قال : سُئل أنس كيف كانت قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم

قال : " كانت مــدًا ثم قرأ : بسم الله الرحمن الرحيم " يمد بسم الله ويمد الرحمن ويمد الرحيم "

قال الحازمي : هذا حديث صحيح لا يعرف له علة ، وفيه دلالة علي الجهر مطلقاً يتناول الصلاة وغيرها ، لأن قراءة الرسول صلى الله عليه وسلم لو اختلفت في الجهر بين حالتي الصلاة وغيرها لبينها أنس ، ولما أطلق جوابه "[١٦] .

المذهب الثاني : لا يقرأ ببسم الله الرحمن الرحيم ، سراً ولا جهراً في المكتوبة .

ذهب إليه مالك[١٧] .

وسلك في ذلك مسلك الترجيح لحديثي عبد الله بن مغفل ، وعائشة في البدء بالحمد لله رب العالمين

قال مالك – رحمه الله – :

---

[١٥] سبق تخريجه .

[١٦]

[١٧] المدونة (١/١٦٢) ، الإنصاف لابن عبد البر (١/٦) ، التمهيد (٢/٢٣٠) ، شرح خليل للخراشي (١/٢٨٩) ، الذخيرة (٢/١٧٧) ، الشرح الكبير لدردير (١/٢٥١).

" لا يقرأ في الصلاة " ببسم الله الرحمن الرحيم " في المكتوبة لا سراً ولا جهراً وهي السنة وعليها أدركت الناس ، وفي النافلة إن أحب فعل " [18]

واحتج بما روي عن :

١ – ابن عبد الله بن مغفل عن أبيه قال : وما رأيت رجلاً أشد عليه فى الإسلام حدث منه ، فسمعني وأنا أقرأ " بسم الله الرحمن الرحيم " فقال لي : يا بني إياك والحدث ، فإني صليت مع رسول الله ز ، ومع أبي بكر وعمر وعثمان فلم أسمع أحداً منهم يقرؤها ، فإذا قرأت فقل : الحمد لله رب العالمين " [19]

وفيه دلالة علي أن البدأة " بالحمد لله رب العالمين " ولم يقرأ بسم الله الرحمن الرحيم جهراً ولا سراً .

٢ – عن عائشة قالت : كان النبي ز يفتتح الصلاة بالتكبير والقراءة بـــ : الحمد لله رب العالمين ويختمها بالتسليم "[20]

٣ – عن أبي هريرة عن النبي ز قال : قال الله تعالى : " قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين ...."

وهذا ظاهر أن بسم الله الرحمن الرحيم ليست آية من الفاتحة "[21]

٤ – رد جميع الروايات إلي أنهم كانوا يسرون بالبسملة دون تركها ، وقد ثبت الجهر بها في الأحاديث السابقة عن أنس ، وكأن أنساً بالغ في الرد علي من أنكر الإسرار بها فقال : أنا صليت خلف النبي صلى الله عليه وسلم

[18] انظر المدونة (١٦٢/١) .

[19]

[20] سبق تخريجه .

[21] سبق تخريجه .

وخلفائه فرأيتهم يجهرون بها ، أي وقع ذلك مرة أو مرات لبيان الجواز ، ولم يرد الدوام ، ولهذا اختلفت أفعال الصدر الأول في ذلك وهو كالاختلاف في الأذان والإقامة ، قال ابن حيان : هذا عندي من الاختلاف المباح والجهر أحب إليّ "

٥ – أن يقال أنه نطق بكل هذه الألفاظ في مجالس مختلفة بحسب الحاجة إليها في الاستدلال[٢٢] .

٦ – الطعن في حديث أنس بأنه معلول ، لأن أبا سلمة سعيد بن زيد قال : سألت أنساً : أكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يستفتح بالحمد لله رب العالمين أو بسم الله الرحمن الرحيم ؟ فقال : إنك لتسألني عن شئ ما أحفظه وما سألني عنه أحد قبلك" وفيه دليل علي نسيان أنس لهذه الواقعة .

- وأجابوا عن حديث عائشة : بأن المراد " كانوا يفتتحون " أي سورة الفاتحة وهذا المتعين للجمع ، لأن البسملة ثبتت فعلاً ورواية .

- و أجابوا عن قولهم " لو كان الجهر ثابتاً لنقل بالتواتر " ، بأنه ليس ذلك بلازم ، لأن التواتر ليس بشرط لكل حكم .

٤ – عن أنس رضي الله عنه قال : بينما رسول الله ز ذات يوم بين أظهرنا إذ أغفى إغفاء ثم رفع رأسه مبتسماً فقلت : ما أضحكك يا رسول الله قال : أنزلت عليّ آنفاً سورة فقرأ " بسم الله الرحمن الرحيم " إنّا أعطيناك الكوثر . فصل لربك وانحر ... " قال النووي :

((: وهذا تصريح بالجهر بها خارج الصلاة ، فكذا في الصلاة كسائر الآيات ، وقد أخرج مسلم هذا الحديث في صحيحه عقب الحديث المحتج به في نفس الجهر كالتعليل له به ، لأن الحديثين من رواية أنس))

---

[٢٢] المجموع للنووي (٣/٢٩٨) .

قال الشافعي – رحمه الله – : عقب حديث أنس :

" يعني يبدؤون بقراءة أم القرآن قبل ما يقرأ بعدها ، والله تعالى أعلم ، لا يعني أنهم يتركون " بسم الله الرحمن الرحيم " .

وأجابوا عن حديث أنس بعدة أجوبة :

١ – أنه لا يجوز الاحتجاج به لتلونه واضطرابه واختلاف ألفاظه ، فلا حجة في شئ منها ، وحاصل هذه الطريقة أننا لا نحكم لشئ منها بل نحكم بتعارض الروايات ولا نجعل بعضها أولى من بعض فيسقط الجميع ، وهذه طريقة : ابن عبد البر [٢٣].

٢ – ترجيح بعض ألفاظ هذه الروايات المختلفة ، فلا نجد الرجحان إلا للرواية التي علي لفظ حديث عائشة " أنهم كانوا يفتتحون بالحمد لله " وهذه طريقة : الإمام الشافعي ، لأن أكثر الرواة علي هذا اللفظ .

فإن قيل : إذا اختلفت ألفاظ روايات حديث قضي المبيِّن منها علي المجمل فإن سُلِّم بأن رواية " يفتتحون " مجملة فرواية " لا يجهرون " تعين المراد ، قلنا : ورواية " بأم القرآن " تعين المعنى الآخر . فاستويا ، وسلم لنا ما سبق من الأحاديث المعترضة[٢٤] .

٣ – نفي الجهر الشديد ، وأنه ليس في هذه الروايات ما ينافي الجهرأما رواية " لا يجهرون " فالمراد نفي الجهر الشديد الذي نهى النبي ز عنه بقوله

---

[٢٣] المجموع (٣/٣٠٥) .

[٢٤] الأم (٢/٢٤٤).

تعالى " ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها وابتغ بين ذلك سبيلا ، أما رواية " يسرون " فلم يرد حقيقة الإسرار ، وهذه طريقة الإمام ابن خزيمة[٢٥] .

[٢٥] المجموع للنووي (٣/٣٨) .

المذهب الثالث : يسن الإسرار بها في السرية والجهرية ، ذهب إلي ذلك : أبو حنيفة[٢٦] ، وأحمد بن حنبل[٢٧]

وسلكوا في ذلك مسلك الجمع بين الأحاديث التي ظاهرها الجهر والأحاديث الدالة علي الإسرار واحتجوا بـــ :

١ – ما روي عن أنس بن مالك أنه قال : " صليت خلف النبي ز وأبي بكر وعمر وعثمان فلم أسمع أحداً منهم يجهر ببسم الله الرحمن الرحيم " وفيه دلالة علي أنه كان يسر بها ، كما جاء مصرحاً به في بعض الروايات ، " يسرون بها " ، وأنه لا يجهر بها وأن كان يقرؤها "

قال الترمذي " وعليه العمل عند أكثر أهل العلم "[٢٨]

٢ – ما روي عن عائشة رضي الله عنها أن النبي ز كان يفتتح الصلاة بالتكبير والقراءة بالحمد لله رب العالمين "

وهذا فيه دلالة علي أنه لم يكن يُسمعهم " بسم الله الرحمن الرحيم "

٣ – ما روي عن أبي هريرة عن النبي ز قال : قال الله تعالى : قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين ، ولعبدي ما سأل ، فإذا قال العبد : الحمد لله رب العالمين قال الله : حمدني عبدي "

---

[٢٦] المبسوط للسرخسي (٢٥/١) ، شرح معاني الآثار (٢٥٧/١) ، الآثارلأبي يوسف (٢٢/١) ، تبين الحقائق شرح كنز الدقائق (١١٢/١) ، فتح القدير (٦٠/٢) بدائع الصنائع (٢٠٤/١) ، البحر الرائق (٣٣٠/١) .

[٢٧] مسائل أحمد وإسحاق رواية عبد الله (٥٣٥/٢) رقم [٢٠١] ، المغني (١٤٩/٢) المقنع والانصاف الشرح الكبير (٤٣٠/٣) ، شرح الزركشي (١٧٦/١) ، مطالب أولى النهى (٤٢٨/١) ، شرح منتهى الارادات (١٨٨/١).

[٢٨] تحفة الأحوذي شرح سنن الترمذي (١/ ٥١٧) .

قال صاحب المغني :"وهذا يدل علي أنه لم يذكر " بسم الله الرحمن الرحيم " ، ولم يجهر بها "[29]

وأمّا ما طعنوا به علي حديث أنس فإنه مجاب عنه واذكر أقوى الطعون وصوابها أولها : أنه مضطرب : وقد رد هذه الطعن ابن حجر العسقلاني في الفتح فقال :

" لا يقال هذا اضطراب من قتادة ، لأننا نقول : قد رواه جماعة من أصحاب أنس كذلك ، فطريق الجمع بين هذه الألفاظ حمل من نفى القراءة علي نفي السماع ونفي السماع علي نفي الجهر ، وأصرح من ذلك رواية الحسن عن أنس عن ابن خزيمة بلفظ " كانوا يسرون " ببسم الله الرحمن الرحيم " فاندفع بهذا تعليل من أعله بالاضطراب كابن عبد البر ، لأن الجمع إذا أمكن تعين المصير إليه "[30] .

ثانيها : القدح في الحديث وصحته بأن أبا سلمة سعيد بن يزيد سأل أنساً عن هذه المسألة فقال : إنك لتسألني عن شئ ما أحفظه ولا سألني عنه أحد قبلك . فدلَّ ذلك علي أن أنساً نسي ذلك . أو أنه توقف في هذا الأمر وعدم جزمه بواحد من الأمرين، وروى عنه الجزم بكل واحد منهما فاضطربت أحاديثه وكلها صحيحة فتعارضت فسقطت وإن ترجح بعضها فالترجيح للجهر لكثرة أحاديثه "[31] .

وأجاب ابن حجر عن هذا أيضاً قال :

[29] المغني (٢/١٥٠).

[30] فتح الباري (٢/٢٦٦ – ٢٦٧).

[31] المجموع للنووي (٣/٣١٠).

" ليس بجيد ؛ لأن أحمد روى في مسنده بإسناد الصحيحين أن سؤال قتادة نظير سؤال أبي سلمة ، والذي في مسلم إنما قاله عقب رواية أبي داود الطيالسي عن شعبة، ولم يبين مسلم صورة المسألة ، وقد بينها أبو يعلي والسراج وعبد الله بن أحمد في رواياتهم عن أبي داود أن السؤال كان عن افتتاح القراءة بالبسملة ، وأصرح من ذلك رواية ابن المنذر عن طريق أبي جابر عن شعبة عن قتادة قال : سألت أنساً : أيقرأ الرجل في الصلاة بسم الله الرحمن الرحيم "
فقال : صليت وراء الرسول وأبي بكر وعمر فلم أسمع أحداً منهم يقرأ بسم الله الرحمن الرحيم فظهر اتحاد سؤال أبي سلمة وقتادة وغايته أن أنساً أجاب قتادة بالحكم دون أبي سلمة ، فلعله تذكره بعد بدليل قوله " لم يسألني أحد قبلك " ولعل حفظه قتاده ولم يحفظ أبو سلمة فإن قتادة أحفظ من أبي سلمة بلا نزاع "[٣٢].

ثالثها : قولهم بترجيح بعض روايات حديث أنس ، وألفاظه بعضها علي بعض ، فالجواب عنه :
أن الأصل في ذلك حمل المجمل علي المبين ، والمبين ورد في أحاديث أو روايات أخرى بأنه " لا يجهرون " بل ورد كما صححه ابن حجر آنفا : " يسرون " وهذا فاصل للنزاع ومرجع لرواية الأسرار ولا يقال : إنه معارض برواية " أم القرآن " ، لأنه في هذه الرواية إنما قصد السورة ولم يقصد البداءة بل يؤيده أحاديث أخرى مثل حديث عائشة ، وأبي هريرة .

---

[٣٢] فتح الباري لابن حجر (٢/٢٦٧).

وأجابوا عن أحاديث المذهب الثاني وهو عدم القراءة .[٣٣]

١ – أن الحديث المحتج به ضعيف ، وقد ضعفه جمع من أصحاب الحديث وكذلك هو يخالف ما هو أصح منه سنداً ومتناً وهو حديث أنس .

٢ – وأما حديث عائشة فقد تأولوا قولها " يفتتح الصلاة بالتكبير والقراءة بـ " الحمد لله رب العالمين " علي إسقاط البسملة .

قال الخطابي :

" قد يحتج بهذا الحديث من لا يرى أن التسمية من فاتحة الكتاب ، وليس المعنى كما توهمه ، وإنما وجهه ترك الجهر بالبسملة " بدليل ما روي ثابت البناني عن أنس أنه قال : صليت خلف النبي وخلف أبي بكر وعمر فلم أسمع أحداً منهم يجهر ببسم الله الرحمن الرحيم "[٣٤]

وأجابوا عن أدلة المذهب الأول :

١ – أما حديث أبي هريرة أنه كان – يقرأ " بسم الله الرحمن الرحيم " ويقول : ما أسمعنا رسول الله أسمعناكم ، وما أخفى علينا أخفينا عليكم " .

فإنه ليس فيه الجهر بالبسملة ، ولا يمتنع أن يسمع منه حال الإسرار ، كما سمع الاستفتاح والاستعاذة من النبي صلى الله عليه وسلم مع إسراره بهما

[٣٣] قال الشيخ أحمد شاكر في تعليقه علي المحلي (٣/٢١٢) :

" وأما من أجاز قراءة الفاتحة في الصلاة بدون بسملة فإنه لا دليل له أصلاً "

والأحاديث التي استدلوا بها بعضها ضعيف لا يدل صراحة علي ذلك ، ولا تعارض اتفاق القراء من غير خلاف علي البسملة في أول الفاتحة مع تأيد هذا برسم المصحف ، وهو الحجة الأولى القاطعة لكل نزاع . أ – هـ .

[٣٤]

وقد روي أبو قتادة[٣٥] أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يسمعهم الآية أحياناً في صلاة الظهر"[٣٦]

٢ – حديث أم سلمة : ليس فيه أيضاً الجهر بالبسملة "
قال الطحاوي : " أما حديث أم سلمة رضي الله عنها ، الذي رواه ابن أبي مُليكة ، فقد اختلف الذين رووه في لفظه ، فرواه آخرون عن يعلي أنه سأل أم سلمة عن قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم فنعتت له قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، مفسرة حرفاً حرفاً ، ففي هذا أن ذكر قراءة بسم الله الرحمن الرحيم " من أم سلمة ، تنعت بذلك قراءة رسول الله لسائر القرآن كيف كانت ؟ ... فانتفى أن يكون في حديث أم سلمة ذلك حجة لأحد "[٣٧]

٣ – حديث نعيم المجمر ، فهو أقوى الأدلة عند المذهب الأول ، وهو وإن كان مطعوناً فيه من جهة إسناده ، وبالشذوذ ، وإن صح فهو كما قال ابن الهمام : " غير مستلزم للجهر لجواز سماع نعيم مع إخفاء أبي هريرة "[٣٨]
واسهب الزيلعي في الجواب عن هذا الحديث وهاك تلخيصه :
١ – أنه حديث معلول ، فإن ذكر البسملة فيه مما تفرد به نعيم المجمر من بين أصحاب أبي هريرة ، وهم ثمانمائة ما بين صاحب وتابع ، ... وقد أعرض عن ذكر البسملة في حديث أبي هريرة صاحبا الصحيح ، وزيادة

---

[٣٥] البخارى (٢/٢٨٤) [٧٥٩] كتاب : الأذان . باب : القراءة فى الظهر .
[٣٦] المغني (٢/١٥٠) ، الشرح الكبير (٣/٤٣٥).
[٣٧] شرح معاني الآثار (١/٢٥٩).
[٣٨] فتح القدير لكمال بن الهمام (٣/٦٠) ، نصب الراية (١/٣٣٥)

نعيم المجمر في هذا الحديث مما يتوقف فيه ، بل يغلب علي الظن ضعفه ، وعلي تقدير صحته فلا حجة فيها لمن قال بالجهر ، لأنه قال : فقرأ وليس للجهر فيه تصريح ولا ظاهر يوجب الحجة ، ومثل هذا لا يقدم علي النص الصريح ، المقتضى للإسرار .

ثانيهما : قوله " يقرأ" أو " قال " : ليس بصريح أنه سمع منه ، إذ يجوز أن يكون أبو هريرة أخبر نعيما بأنه قرأها سراً ، ويجوز أن يكون سمعها منه مخافتة لقربه منه "

ثالثهما : إن قوله " إني لأشبهكم صلاة برسول الله .. إنما أراد به أصل الصلاة ومقاديرها وهيئاتها ، وتشبيه الشئ بالشئ لا يقتضي أن يكون مثله من كل وجه ..."[٣٩]

الراجح :

بعد عرض مذاهب العلماء في حكم قراءة " بسم الله الرحمن الرحيم " في الصلاة تبين أن المسألة من أعلام المسائل ، ومعضلات الفقه ، ومن أكثرها دوراناً في المناظرة ، وجولاناً في المصنفات "[٤٠]

ولكن لا يعدم الباحث أن يجد فيما ذكر من أقوال وأدلة ما يرجح به مذهباً علي الآخر، علي ضوء ما ترد في طرق الترجيح .

من خلال هذا يرى الباحث أن المذهب الثالث هو الراجح – بإذن الله تعالى – وهو الإسرار بالبسملة مع اعتبار أن: " مالا يجهر به قد يشرع

---

[٣٩] نصب الراية (١/٣٣٦) .

[٤٠] نصب الراية للزيلعي (١/٣٥٦).

الجهر به لمصلحة راجحة ، فيشرع للإمام أحياناً لمثل تعليم المأمومين ... أو لتأليف القلوب واجتماع الكلمة ..."[41]

وهذا إنما كان لمرجحات عدة :

١ – لما فيه من الجمع الحسن بين الأحاديث ، والروايات ، فتحمل رواية من روي الجهر علي أنه " سمع هو " وإن كان ذلك لا يعد جهراً "

٢ – صحة وصراحة أدلة المذهب الثالث ، فإن أحاديثهم مخرجة في الصحاح بل في الصحيحين أو أحدهما ، علي العكس من أدلة المذهب الأول فإنها ليست فيها صريح صحيح ، بل فيها عدمها ، أو عدم أحدهما ، وكيف تكون صحيحة وليست مخرجة في شئ من الصحيح ، ولا المسانيد ، ولا السنن المشهورة ؟!

وفي روايتها : الكذابون ، والضعفاء ، والمجاهيل الذين يوجدون في التواريخ ، وفي كتب الجرح والتعديل : كعمرو بن شمر ، وجابر الجعفي ، وحصين بن المخارق ، وعمرو بن حفص ، وابن أبي علي الأصبهاني الملقب بجراب الكذب ، وكيف يجوز أن تعارض برواية هؤلاء ما رواه : البخاري ومسلم في صحيحهما ورواه الأثبات مثل حديث أنس فيرويه : قتادة الذي كان أحفظ أهل زمانه ، وعنه شعبة أمير المؤمنين في الحديث "[42]

٣ – أنه عليه العمل عند كثير من الصحابة ، والعلماء ، كذا قال الترمذي ، بل نقل أنس عن الخلفاء أبي بكر وعمر العمل علي ذلك ، لذا قال ابن عبد

---

[41] مجموع الفتاوى لابن تيمية (٤٣٦/٢٢).

[42] نصب الراية (٣٥٥/١) وما بعدها ، والزيلعي – رحمه الله – ممن بسط الكلام في هذا المسألة وأسهب في الاستدلال لمذهبه ، وعرض لأدلة المذهب الآخر والرد عليها في عبارة رشيقة ، واستدلال قوي . والله أعلم .

الهادي : " فإن الخلفاء الراشدين كانوا يسرون بها ، فظن كثير من الناس أن قرائتها بدعة ، فجهر بها من جهر من الصحابة ليعلموا الناس أن قرائتها سنة ، لا أنهم كانوا يفعلون ذلك دائماً "[٤٣]

ولهذا قال الدارقطني : لا يصح في الجهر حديث ، فأما عن النبي فلا ، وأما عن الصحابة فهناك الصحيح والضعيف "[٤٤]

وقد نقل صاحب المغني أن علي هذا جمع من الصحابة وأهل العلم " أبو بكر وعمر وعثمان ، وعلي ، وذكره ابن المنذر عن ابن مسعود ، وابن الزبير وعمار ، وبه يقول الحكم و حماد ، والأوزاعي ، والثوري ، وابن المبارك "

٤ – أن رواة أخبار الجهر معظمهم الذين رووا رواية الإخفاء ، وإسناد الإخفاء صحيح ثابت بغير خلاف فيه ، فهذا مرجح لرواية الإخفاء .

٥ – إمكانية توجيه أدلة المذهب الأول ، إما بضعف الدليل ، أو بالجمع بينهما وبين ما جاء صريحاً في أدلة الإسرار بالبسملة .

وختاماً : تنبيهان :

أولهما : قال الذهبي في تذكرة الحفاظ في ترجمة سفيان الثوري ما لفظه : اللالكائي في السنة ، عن المخلص نا أبو الفضل شعيب بن محمد ، نا علي بن حرب بن بسام سمعت شعيب بن جرير يقول : قلت لسفيان الثوري : حدّث بحديث السنة ينفعني الله به فإذا وقفت بين يديه قلت : حدثني بهذا سفيان فأنجو أنا وتؤخذ قال : اكتب بسم الله الرحمن الرحيم القرآن كلام الله غير مخلوق ، منه بدا وإليه يعود ، من قال غير هذا فهو كافر ، والإيمان

---

[٤٣] نصب الراية (١/٣٥٦).

[٤٤] مجموع الفتاوى لابن تيمية (٢٢/٤١٦) .

قول وعمل ونية ، يزيد وينقص إلي أن قال : يا شعيب لا ينفعك ما كتب حتى ترى المسح علي الخفين ، وحتى ترى إن إخفاء بسم الله الرحمن الرحيم أفضل من الجهر بها ، حتى قال : إذا وقفت بين يدي الله فسألك عن هذا فقل: يا رب حدثني بهذا سفيان الثوري ثم خل بيني وبين الله عز وجل.

قال الذهبي : هذا ثابت عن سفيان ، وشيخ المخلص ثقه "[٤٥] . أ- هـ

الثاني :

قال ابن تيمية :

" إذا كان أهل المعرفة بالحديث متفقين علي أنه ليس في الجهر حديث صحيح ولا صريح فضلا أن يكون فيها أخبار مستفيضة أو متواترة امتنع أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يجهر بها كما امتنع أن يكون كان يجهر بالاستفتاح والتعوذ ثم لم ينقل"[٤٦]

---

[٤٥] تذكرة الحفاظ للذهبي (١/١٥٣).

[٤٦] مجموع الفتاوى (٢٢/٤١٧)

ومع ذلك فقد قال في أول الكلام علي المسألة : (٢٢/٤٠٥ - ٤٠٦) .

" وأما التعصب لهذه المسائل ونحوها فمن شعائر الفرقة والاختلاف الذي نهينا عنها ، إذ الداعي لذلك هو ترجيح الشعائر المفترقة بين الأمة ، وإلا فهذه المسائل من أخف مسائل الخلاف جداً لولا ما يدعو إليه الشيطان من إظهار شعار الفرقة " .

الخاتمة والنتائج

بعد عرض الدراسة الحديثية والفقهية للأحاديث التي ظاهرها التعارض في الجهر بالبسملة أو الإسرار بها في الصلاة ... نورد خلاصة ذلك .

١] النتيجة الأولى : ليس هناك تعارض حقيقي بين أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم الثابتة عنه .

٢] أحاديث الجهر بالبسملة ، وإن صححها بعض أهل الحديث إلا إنها من جهة الرجحان لا تقوى لمعارضة أحاديث الإسرار بالبسملة وهي في الصحيحين أو أحدهما ، وأن الراجح من مذاهب الفقهاء هو المذهب الثالث .

٣] النتيجة الثالثة : أنه يمكن الجمع بين حديث نعيم المجمر وهو أقوى الأدلة عند المذهب الأول في الجهر وأحاديث الإسرار .

قال ابن الهمام : " .... غير مستلزم للجهر لجواز سماع نعيم مع إخفاء أبي هريرة " [٤٧]

ومع ذلك فقد تفرد به نعيم المجمر من أصحاب أبي هريرة وهم ثمانمئة ، وقد أعرض عنه صاحبا الصحيح .

٤] النتيجة الرابعة : ترجيح مذهب الإسرار بالبسملة في الجهرية والسرية ، وذلك لأنها روايات جاءت مبينة ، وسواها وإن صح كان مجملاً والمبين مقدم على المجمل أو يحمل المجمل على المبين .

٥] النتيجة الخامسة : مجئ روايات مصرحة بالجهر " كانوا يجهرون "

٦] النتيجة السادسة : عمل الكثير من الصحابة وأهل العلم .

([٤٧]) فتح القدير (٣ / ٦٠)

قال صاحب المغني نقلاً عن الترمذي : " عليه أبو بكر وعمر وعثمان وعلي، وذكره ابن المنذر عن ابن مسعود ، وابن الزبير وعمار وبه يقول الحكم ، وحماد والثوري ، والأوزاعي ، وابن المبارك [٤٨]"

(٤٨) المغنى (٢ / ١٤٩) تحفة الأحوذي (١ / ٥١٣)